

تفسير ابن كثير

يقسم تعالى بالخيّل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو { فالموريات قدحا } يعني اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار { فالمغيرات صباحا } يعني الإغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويستمع الأذان فإن سمع أذانا وإلا أغار وقوله تعالى : { فأثرن به نقعا } يعني غبارا في مكان معترك الخيول { فوسطن به جمعا } أي توسطن ذلك المكان كلهن جمع قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبدة عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله { والعاديات صباحا } قال : الإبل وقال علي : هي الإبل وقال ابن عباس : هي الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس : إنما كان ذلك في سرية بعثت .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير : وحدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه قال : بينا أنا في الحجر جالسا جاءني رجل فسألني عن { العاديات صباحا } فقلت له : الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب إلى علي عليه السلام وهو عند سقاية زمزم فسأله عن { العاديات صباحا } فقال : سألت عنها أحدا قبلي ؟ قال : نعم سألت ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال : اذهب فادعه لي فلما وقف على رأسه قال : أتفتي الناس بما لا علم لك والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات صباحا ؟ إنما العاديات صباحا من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى قال ابن عباس : فنزعت عن قلبي ورجعت إلى الذي قال علي المزدلفة إلى عرفة من صباح العاديات إنما : علي قال : قال ابن عباس عن الإسناد وبهذا B فإذا أووا إلى المزدلفة أو روا النيران وقال العوفي وغيره عن ابن عباس : هي الخيل . وقد قال بقول علي إنها الإبل جماعة منهم إبراهيم وعبيد بن عمير وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء : ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب وقال ابن جريج عن عطاء : سمعت ابن عباس يصف الضبح أح أح وقال أكثر هؤلاء في قوله : { فالموريات قدحا } يعني بحوافرها وقيل أسعرن الحرب بين ركبانهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد { فالموريات قدحا } يعني مكر الرجال وقيل هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال : من فسرّها بالخيّل هو إيقاد النار بالمزدلفة قال ابن جرير : والصواب الأول أنها الخيل حين تقدح بحوافرها .

وقوله تعالى : { فالمغيرات صبحا } قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : يعني إغارة الخيل صبحا في سبيل الله وقال من فسرهما بالإبل هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى وقالوا كلهم في قوله : { فأثرن به نقعا } هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو وقوله تعالى : { فوسطن به جمعا } قال العوفي عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك : يعني جمع الكفار من العدو ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعهن ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثا غريبا جدا فقال : حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأشهرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت { والعاديات صبحا } صبحت بأرجلها { فالموريات قدحا } قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارا { فالمغيرات صبحا } صبحت القوم بغارة { فأثرن به نقعا } أثارت بحوافرها التراب { فوسطن به جمعا } قال : صبحت القوم جميعا وقوله تعالى : { إن الإنسان لربه كنود } هذا هو المقسم عليه بمعنى إنه بنعم ربه لكفور جحد قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو الجوزاء وأبو العالية وأبو الضحى وسعيد بن جبير ومحمد بن قيس والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد : الكنود الكفور قال الحسن : الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال : [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { إن الإنسان لربه كنود }] قال - الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفقته [رواه ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا إسناد ضعيف وقد رواه ابن جرير أيضا من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفا وقوله تعالى : { وإنه على ذلك لشهيد } قال قتادة وسفيان الثوري : وإن الله على ذلك لشهيد ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وإن الإنسان على كونه كنودا لشهيد أي بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى : { ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر } .

قوله تعالى : { وإنه لخبير لشديد } أي وإنه لخبير وهو المال لشديد وفيه مذهبان (أحدهما) أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال (والثاني) وإنه لحريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح ثم قال تبارك وتعالى مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة ومنبها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الإنسان من الأهوال : { أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور } أي أخرج ما فيها من الأموات { وحصل ما في الصدور } قال ابن عباس وغيره : يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم { إن ربهم بهم يومئذ لخبير } أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة

